خدعتني.. وزهَّدتني.. وفقَّهتني امرأة!!

● في مناقب الكردي هذه القصة التي يرويها الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله فيقول : خدعتني امرأة ، وفقَّهتني امرأة ، وزهَّدتني امرأة!!

أما الأولى : كنتُ مجتازاً فأشارت إليَّ امرأة ، إلى شيءٍ مطروحٍ في الطريق ، فتوهَّمتُ أنها خرساء ، وأن الشيء لها ، فلما رفعتُه إليها قالت : احفظه حتى تسلِّمه لصاحبه .

والثانية : سألتني امرأة عن مسألةٍ في الحيض ، فلم أعرفها ، فقالت قولاً تعلَّمتُ الفقه من أجله .

والثالثة : مررتُ ببعض الطرقات ، فقالت امرأة : هذا الذي يصلِّي الفجر بوضوء العشاء ، فتعمَّدتُ ذلك حتى صار دأبي .

● وقال الإمام أبو حنيفة : خرجنا مع (حمّاد) نُشيِّع (الأعمش) ، وأعوز الماء لصلاة المغرب[1] ، فأفتى (حمّاد) بالتيمم لأول الوقت ، فقلت : يُؤخَّر إلى آخر الوقت ، فإن وُجد الماء وإلا تيمَّم ، ففعلتُ فوجِدَ في آخر الوقت ، وهذه أول مسألة خالف فيها أستاذه .

● وسُئل الإمام رحمه الله عمّن قال : لا أرجو الجنة ، ولا أخاف النار ، ولا أخاف الله تعالى ، وآكل الميتة ، وأصلِّي بلا قراءة وبلا ركوع وسجود ، وأشهد بما لم أره ، وأبغض الحقَّ ، وأحبُّ الفتنة!!

فقال أصحاب الإمام : أمر هذا الرجل مشكل وليس لها إلا الإمام أبو حنيفة .

---

(١) أعوز الماء لصلاة المغرب : أعوزه الشيء إذا احتاج إليه ولم يقدر عليه (مختار الصحاح) .

فقال الإمام : هذا الرجل يرجو الله لا الجنة ، ويخاف الله لا النار ، ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عذابه ، ويأكل السمك والجراد ، ويصلِّي على الجنازة ، ويشهد بالتوحيد ، ويبغض الموت وهو حقٌّ ، ويحبُّ المال والولد وهما فتنة ! !

فقام السائل وقبَّلَ رأس أبي حنيفة ، وقال : أشهدُ أنَّكَ للعلم وعاء[1] .

* * *

مجاهدة النفس :

يقول سيِّد الخلق وحبيب الحق ﷺ :

« الكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَهُ وعملَ لما بعدَ الموتِ ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نفسَهُ هواها ، وتمنَّى على الله الأماني » .

ويقول في حديث آخر :

« أعْدى عدوِّكَ نفسُكَ التي بينَ جَنْبَيْكَ » .

فكيف ترجم الصحابة الأوائل هذا الكلام في حياتهم العملية ؟

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُصبح خليفة ، ثم يفتح الله على يديه البلاد ، وتتَّسع رقعة الدولة الإسلامية ، وتتدفَّق الأموال على بيت المسلمين ، فماذا فعل عمر ؟

كان يأبى إلا الشدَّة ! ! فتكلَّم الناس بالأمر ، لكن لا أحد يجرؤ على أن يُكلِّم عمر بهذا الأمر ، فقال واحد : ليس لنا إلا ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وبالفعل كلَّموها بالموضوع واقتنعت بذلك ، ولما دخل عليها والدها عمر كلَّمته بذلك ! !

---

(١) من الأشباه والنظائر : للعلامة ابن نُجيم الحنفي ت (٩٧٠ هـ) .